**السنة الثالثة /أدب**

**قضايا النص الشعري القديم**

**أ د فريدة مولى**

**المحاضرة الثانية: نزعة التمرّد في شعر الصعاليك**

**تدل ظاهرة الصعلكة في المجتمع الجاهلي على تلك التناقضات التي تبلورت في المجتمع القبلي الذي بلغ شوطا بعيدا في المظالم الاجتماعية والفوارق الطبقية والتجاوزات القبيلة، لذلك تمثل ثورة الصعاليك وتمرّدهم على القيم الجائرة والطبقية ظاهرة فريدة في المجتمع العربي، ظاهرة اجتماعية وكذلك فنّية بالنسبة للصعاليك الذين جمعوا بين السيف والقلم فكانوا شعراء صعاليك مستنيرين أصحاب قضية سلكوا نهجا خاصا بهم كردّ فعل لما لحقهم من ظلم وتهميش جراء العقد الاجتماعي القائم على العصبية القبلية، فكان شعرهم – انطلاقا من حبهم للحرية والعدالة – شعرا معارضا رافضا للقبيلة وأعرافها وللقصيدة الجاهلية القبلية وتقاليدها، وقد شكّل ظاهرة أدبية متميزة في الأدب العربي حتى عدّه بعض الدارسين أول أدب معارضة عند العرب، فكما خالف الشعراء المجتمع القبلي في نمط العيش والطقوس والمعتقدات،خالفوه أيضا في فنّه وموضوعاته وبنية قصيدة شعرائه، فتفردوا في شعرهم وتمردوا على تقاليد القصيدة الجاهلية وعلى مضامينها كما تمردوا على سلطة القبيلة.**

**الصعلكة بين المدلول الاجتماعي والمدلول الفنّي : الصعلوك لغة هو الفقير الذي لا يملك من المال ما يعينه علي أعباء الحياة، وفي تعريف آخر هو الفقير الذي يواجه الحياة وحيدا وقد جرّدته من وسائل العيش الكريم فيها وسلبته كل ما يستطيع أن يعتمد عليه في مواجهة مشكلاتها وعقاباتها، أمّا اجتماعيا فهو الفقير/ اللص المحب للحرية،المتمرد على قبيلته وقوانينها، الرافض للظلم والكذب والنفاق، المؤمن بأن الفقير ضائع حقة في المجتمع وأن الحق لا يؤخذ إلّ بالقوة ، لذلك انتهج وسائل غير شرعية لاسترداد حقه والنيل من أعدائه، والناظر في أخبار الصعاليك أو اللصوص كما تسميهم قبائلهم وظروف نشأتهم وحياتهم الاجتماعية يميّز ثلاث طوائف أو مجموعات وهي:**

**1/ طائفة الخلعاء الشذّاذ : وهم الذين تبرأت منهم قبائلهم وأنكرتهم وطردتهم من حماها وقطعت ما بينها وبينهم من صلة وذلك لكثرة جرائمهم ويمثلهم "حاجز الأزدي" و"قيس بن الحدادية".**

**2/ طائفة الأغربة السود: وهم الذين سرى إليهم السواد من أمهاتهم الإماء فلم يعترف بهم آباؤهم العرب ولم ينسبوهم إليهم لأن دماءهم ليست عربية خالصة، إنّما خالطتها دماء أجنبية سوداء لا تصل درجة نقائها درجة الدم العربي ، ومن أمثالهم " تأبط شرّ" و" الشنفرى".**

**3/ طائفة الفقراء المتمردين وهم الذين تصعلكوا نتيجة تلك الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تسود المجتمع الجاهلي، ويمثلهم "عروة بن الورد" الملقب بعروة الصعاليك لأنه كان يجمع الفقراء فيرزقهم مما يغنم.**

**أمّا فنّيا أو في عالم الأدب فإن لفظ الصعلوك يطلق على فئة من الفقراء الذين اتخذوا لأنفسهم فلسفة خاصة خاصة في الحياة، فسلكوا سلوكا له سمات معينة أهمها : الأنفة والإباء والترفع عن الصغائر والدنايا وحقير الأعمال، معتمدين في حياتهم على القوة والبطش وانتهاز الفرص وخفة الحركة وسرعة العدو أو الجري والهجوم الخاطف والسلب والنهب والفتك بالأعداء مع الحرص على البرّ بالفقراء والاهتمام بالمرضى والمحتاجين، وقد عبروا عن فلسفتهم في الحياة في أشعار تبيّن تمّردهم اجتماعيا وفنّيا متناولين موضوعات تكشف عن:**

**- سخطهم على المجتمع وتمرّدهم عليه وعلى تقاليدهم وتقاليد القبيلة.**

**-أخبارهم وحال الفقراء من جوع وفقر وإحساسهم المرير بوقعه على نفوسهم، وعن شكواهم من هوان منزلتهم الاجتماعية وعدم تقدير المجتمع لهم.**

**-ما كانوا يتّصفون به من كرم وفضائل حتّى أصبحوا مضرب الأمثال في الجود والكرم إذ قورن زعيمهم عروة بن الورد ب" حاتم الطائي"، أما مادة هذا الكرم فهي ما يغنمونه من غزواتهم وغاراتهم الليلية في أرجاء الجزيرة العربية على القوافل التجارية أو القبائل أو الأغنياء البخلاء.**

**- ما يتمتعون به من شجاعة وقوة جسدية وسرعة العدو الخارقة للعادة وقد اشتهرت طائفة من الصعاليك بسرعة العدو حتى أطلق عليهم اسم : العدّائين.**

**- غزواتهم وغاراتهم لغرض السلب والنهب مع ذكر الهدف من ذلك وهو تحقيق لون من ألوان العدالة الاجتماعية والتوازن الاقتصادي بين طبقتي المجتمع المتباعدتين، فالغزو والسلب والنهب مجرد وسائل لتحقيق غاية نبيلة ونزعة إنسانية..**

**- أحاديث التشرد في أنحاء الصحراء الموحشة ووديانها الرهيبة وجبالها الوعرة حيث تحيا الوحوش بعيدا عن البشر.**

**- صلتهم القريبة بالحيوانات المتوحشة فوصفوها وتحدثوا عنها حديث المطّلع الخبير بطباعها وعاداتها.**

**التمرّد فنّيا :**

**إن طبيعة شعر الصعاليك تختلف في كثير من الجوانب عن طبيعة الشعر الجاهلي، فانقطاع الصلة بينهم وبين قبائلهم أدى إلى انقطاعها فنّيا، وتحرّرهم من سلطة القبيلة وقوانينها أدى إلى تحرّرهم من سلطة القصيدة الجاهلية وبنائها التقليدي، ومن مظاهر هذا التحرّر أو التمرد :**

**-التخلص من المقدمة الطللية والغزلية التي اشتهرت بها قصائد الجاهليين، ولعلّ لامية الشنفرى أشهر تلك القصائد التي استهلها الشاعر بالدخول مباشرة في الموضوع دون مقدمات.**

**-شعر المقطوعات، فمن الناحية الشكلية نجد أن شعرهم شعر مقطوعات يتراوح عدد أبيات الواحدة منها بين البيتين والسبعة، ولكن لا يعني ذلك عدم وجود قصائد أو مطولات ولكن شيوع المقطوعات أكثر من القصيدة.**

**- الوحدة الموضوعية، فالناظر في شعرهم تلفت نظره تلك الوحدة الموضوعية في مقطوعاتهم وقصائدهم إذ نستطيع ان نضع لكل مقطوعة عنوانا دالا على موضوعها وهي ظاهرة لم تعرفها قصائد الشعر الجاهلي التي تميزت بتعدد الموضوعات فيها .**

**-عدم الحرص على التصريع وهذا راجع لرفضهم الخضوع لتقاليد مجتمعهم فكان شعرهم أيضا ثائرا على الأوضاع الفنية في الشعر الجاهلي القبلي.**

**-التحلّل من الشخصية القبلية ، إذ لم يكن الشاعر الصعلوك لسان قبيلته كبقية الشعراء الجاهليين لعدم إحساسه بالعصبية القبلية، فأصبح شعره صورة صادقة لحياته يسجل فيه كل ما يدور فيها، ليصبح ضمير المفرد "أنا" أداة التعبير بدل ضمير الجماعة " نحن"، ف "الأنا الفردي" هو الطاغي مقابل انتفاء ضمير القبيلة "النحن الجماعي" وإن ورد الجمع في شعرهم إنما هو " الأنا الجمعي" الذي يعبر عن جماعته و عن تجمّع الصعاليك حيث لا تربطهم رابطة القبيلة أو اللون أو النسب، إنما رابطة جديدة على المفهوم الاجتماعي آنذاك وهي رابطة المبدأ والطائفة، وهذا الأنا الجمعي في شعرهم لا يعبر إلا عن التكتل والتجمع والتمرد، هذا التمرّد الذي حرّرهم من سلطة القبيلة والذوبان فيها، وحرّرهم أيضا من سلطة القصيدة الجاهلية، وقد صنع كل شاعر صعلوك فرديته وتميّزه وتحرّر كل واحد بشخصيته واعتزّ بها.**